مجلة الونشريس للدراسات التاريخية
ISSN: 2800 - 1346
EISSN: 2830-8387
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/820

| المجلد: 02، العدد: 01 | رجب 1444هـ/فيفري 2023م | الصفحات: 203-218 |
|---|---|---|

# أثر الفكر الإصلاحي لمحمد بن عبد الكريم المغيلي في غرب إفريقيا

# The impact of the reformist thought of Mohammed Ibn Abd al-Karim al-Maghili in West Africa

سارة عزيزي *
جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة (الجزائر)
azzizisarah7@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال
2022/04/29
تاريخ القبول
2022/05/14

الكلمات المفتاحية:
المغيلي؛ الإصلاح؛ الجهاد؛ غرب إفريقيا.

الملخص:

مثلت أفكار و آراء محمد بن عبد الكريم المغيلي الإصلاحية في السياسة و الحكم و إصلاح المجتمع عموما ، ركائز إعتمد عليها حكام غرب إفريقيا و محكوميها على حد سواء و ذلك منذ إتصالاته الأولى بهم متصدرا للدعوة و الإصلاح و الجهاد في بلدانهم ، فاتخذ حكامها من تلك الأفكار و الآراء دستورا تسير به أنظمة حكمهم ، كما جعلت مجتمعاتها منه قدوة في سلوكاتها اليومية و في الدعوة والإرشاد والإصلاح و الجهاد فيما بعد ، و هو ما سيتواصل مع أجيال أخرى بعده بقرون ، و بالتالي يكون المغيلي قد صنع لنفسه مكانة خاصة في أذهان الأفارقة في تلك الأقطار حكاما و محكومين، وترك أثرا مازال باقيا إلى اليوم.

Article info

Received:
2022/04/29
Accepted:
2022/05/14

Abstract:

Thoughts and opinions of Mohammed Ibn Abd al-Karim al-Maghili in politics, governance and reforming society in general, represented the pillars on which West African rulers and ruled alike depended, since his first contacts with them for the reform

* المؤلف المرسل

and « Jihad » in their countries, so, these rulers adopted these thoughts and opinions as a constitution in their governance systems, also, west african societies made him a role model for them in their daily behavior, guidance, reform and Jihad later, and it will continue with others generations after him centuries latter . Thus al-Maghili has made a special place for himself in the minds of africans in those countries; rulers and ruled, and he left a impact that still remains today.

**Key words:** Al-Maghili; reform; Dihad; West Africa.

**مقدمة:**

يعد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز علماء القرن التاسع الهجري، وأكبر داعية إسلامي عرفه الغرب الإفريقي خلال هذه الفترة ، شكلت حياته نواة حركة إصلاحية حقيقية في حياة كثير من الشعوب والأفراد في تلمسان ، امتد صداها داخل وخارج حدود وطنه تلمسان عربيا و إفريقيا، قام بدور عظيم في السودان لا يدانيه أي دور لأي عالم مغربي، فترك أثرا علميا و ثقافيا و دينيا بارزين في جميع ممالك السودان الغربي (غرب إفريقيا) يشهد به أبناء المنطقة إلى يومنا هذا ، فما الأثر الإصلاحي الذي تركه المغيلي بعده في غرب إفريقيا؟

## 1- التعريف بالشيخ المغيلي :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و ينتسب إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان في الجزائر الحالية، لا يُعلم تاريخ ولادته بالضبط، غير أن وفاته كانت في سنة 909هـ، وقد كان من المثقفين وأولي الفكر في عصره[1]، وصفه أحمد بابا التنبكتي بـ : **"خاتمة المحققين الإمام العالم العلامة الفهّامة القدوة الصالح السني أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم و التقدم متمكن المحبة في السُّنة و بعض أعداء الدين"**[2]، كما وصفه إبن مريم بقوله : **"القدوة الصالح الحبر أحد أذكياء العالم و أفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم و التقدم و النسبة في الدين"** وغيرهما، أخذ العلم عن الإمام عبد الرحمان الثعالبي والشيخ يحي بن بدير غيرهما ، كما أخذت عنه جماعة من العلماء كالفقيه أيد أحمد والشيخ العاقب الأنصمني و محمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم[3].

خلال اشتغاله بالتدريس في تلمسان، لاحظ حالة التعفن السياسي التي سادت عرش بني زيان، والتفسخ والإنحلال اللذان كانا يعمّان مجتمع المدينة الزيانية وتكالب القوى الأوربية ضد البلاد و موانئها و مدنها الساحلية، وضد كل بلدان المغرب الأخرى شرقا وغربا. كما لاحظ المغيلي أيضا خروج الأمراء عن الجادة الإسلامية، و انغماسهم في الملذات، و استسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود، و الإسبان، و البرتغاليين، فأَنِف من العيش هناك، و تاقت نفسه للهجرة إلى حيث يكون في مقدوره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، فانتقل إلى توات و لا تُعرف سنة انتقاله بالضبط غير أن تسعينات القرن الخامس عشر أدركته بها دون شك، و قد كانت واحات منطقة توات خلال القرن الخامس عشر من أكثر المناطق نشاطا في تسيير القوافل التجارية بين السودان الغربي وبلدان الشمال الإفريقي، و كان التواتيون يشكلون منذ القديم جالية كبيرة تعمل في التجارة بمنطقة النيجر الأعلى و تتولى استقبال القوافل القادمة من الشمال و توزيع بضائعها على مختلف مدن السودان[5].

و لا يُعرف سبب انتقاله إلى الصحراء، غير أن حملته على اليهود القاطنين بها ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الإعتقاد بأنه وجد ضيقا في العيش بالشمال، حيث يسيطر اليهود في أهم المدن على مصادر التجارة و المال، و أوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين فأصبحوا صنائع لهم. و لما انتقل إلى الجنوب الجزائري وجد اليهود يشاركون بنشاط في حركة القوافل التجارية مع السودان و تسلطوا على تجارتها هناك فدعا لمحاربتهم واجتمع له أنصار، فطاردوا اليهود و هدموا عددا من بِيعِهم في توات ونواحيها[6].

## 2- رحلته إلى السودان الغربي (غرب إفريقيا) :

اتجه المغيلي بعد الصحراء إلى بلاد الآهير شمال نيجيريا، و من هناك أخذ طريقه إلى الهوسا، و استقر بمدينة تيقدا (تيغزة) التي كانت مزدهرة بها الحركة الثقافية و التجارية، واشتغل

بالتدريس و الوعظ و الإرشاد في مساجدها، و من تيقدا انتقل المغيلي إلى كانو ثم إلى كاتسينا، و استقر هناك بعض الوقت و تزوج و أنجب[7].

و يبدو أنه حينما سافر إلى السودان كانت شهرته كعالم قد سبقته إلى تلك البلاد[8]، بحيث نقلت القوافل التجارية أخباره فتطلّع السكان لرؤيته والتعلم منه، فقد يسّر للإمام المغيلي الدخول في المجتمع السوداني ما كانت تتناقله قوافل التجارة، و في نفس الوقت الاتصال بملوك و أمراء السودان الغربي من المسلمين[9]. فأثناء وجود المغيلي في كانو اجتمع بسلطانها (أبو عبيد الله محمد) الذي استشاره و استفاد منه وكتب له رسالة في أمور السلطنة (فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام) يحضّه فيها على اتّباع شرع الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و قرر له أحكام الشرع و قواعده[10]، أثبت من خلالها إطلاعه الكامل على أحوال بلاد السودان و سلوك أمرائها و عادات سكانها، كما أثبت فيها حرصه الشديد على أن يحكم المسلمون بحزم، و ذلك وفق أحكام الشريعة الحكيمة[11].

ثم ارتحل المغيلي بعد ذلك إلى بلاد التكرور فوصل إلى كاغو (غاو) و اجتمع بسلطانها الأسقيا محمد الكبير و جرى على طريقته بالأمر بالمعروف و ألّف له كتابا أجابه فيه عن مسائل حددها له الأسقيا[12]، فأجابه المغيلي حول تلك المسائل و كان عددها سبعة، و قد جاء جواب المغيلي مفصلا و دقيقا؛ إذ أفرد لكل مسألة في أجوبته بابا خاصا، ظهر من مجموعها معرفة المغيلي بأحوال المسلمين في بلاد سنغاي و في بلاد السودان الغربي عموما معرفة واسعة، كما أن نظريته في الخلافة و فيمن يصح له حكم المسلمين يجب أن يتمثل في الوعي الكامل بواجباته تجاه مجتمع المسلمين ككل و تجاه رعاياه المباشرين بصفة خاصة[13].

و هكذا تمكن المغيلي من تحديد و تنظيم مسار و قواعد مجتمع سليم تسوده العدالة الربانية ، و تنظمه قواعد استنبطها من الكتاب و السُّنة [14] .

### 3- آثار المغيلي الفكرية :

خلّف المغيلي وراءه تلاميذ كثيرين يُعدّون بالآلاف في غرب إفريقيا، ما يزالون حتى اليوم يدينون له بالولاء الفكري و الأدبي، و يعترفون بفضله على مجتمعاتهم السودانية الإسلامية، و كتب كثيرون عنه و عن سيرته الشخصية و الاجتماعية و الثقافية، مثل أحمد بابا التنبكتي، و إبن مريم المليتي، و الزركلي، و بروكلمان، و غيرهم، و عدُّوه من كبار المصلحين بالسودان الغربي خلال القرنين التاسع الهجري و الخامس عشر الميلادي، ومع ذلك فإن جوانب كثيرة من حياة المغيلي، و نشاطه العلمي و الفكري و الأدبي ما تزال مجهولة و تحتاج إلى بحث دقيق، و تمحيص، و فرز[15].

و قد خلّف المغيلي من ورائه كذلك إنتاجا فكريا غزيرا في ميدان التأليف ما يزال الكثير منه مخطوطا، و محفوظا لدى تلاميذه و المتشيعين له من الأسر الإسلامية في بلاد السودان الغربي ، منها ما ذكره ابن مريم في البستان :

- البدر المنير في علوم التفسير .
- تفسير سورة الفاتحة في ورقة واحدة .
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح (يقع في كراسين) .
- إكليل مغني النبيل ، و هو شرح لمختصر خليل .
- إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل .
- شرح بيوع الآجال .
- مختصر تلخيص المفتاح ، و شرح علمه .
- مفتاح النظر في علم الحديث .
- شرح جمل الخونجي في المنطق .

- تأليف في المنبهات .
- منح الوهاب منظومة في علم المنطق وضع لها ثلاثة شروح .
- تنبيه الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين .
- شرح خطبة المختصر .
- مقدمة في العربية و فهرسة لمروياته .
- كتاب الفتح المبين .
- أجوبة عن أسئلة الأسقيا محمد الأول الكبير .
- جملة مختصرة فيما يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام .
- عدة قصائد منها الميمية على وزن البردة في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام[16] .

## 4- آثار المغيلي الإصلاحية في غرب إفريقيا:

إنّ المتتبع لحياة المغيلي يجد أنه كان كثير التدريس والوعظ في كل مكان حل به، فقد عمل على نشر المذهب المالكي و غيره من صنوف الفقه و الأدب و التصوف والحديث، و درّس بتوات وأقام بها زاوية للعلم(القادرية)، كما درّس بمسجد الكرامة الذي أسسه بمدينة أكدس و أخذ عنه الكثير من أبناء تلك المنطقة، كما أخذ عنه التلاميذ بمدينة كشنة (كاتسينا) و مدينة كانو حيث تولى قضاء الجماعة بها وكان مستشارا لسلطانها بالإضافة إلى مدينة كانو التي أفتى و درّس و عمل على نشر العلم والفكر بها[17].

إن الفترة التي قضاها الإمام المغيلي بهذه المناطق سمحت له بتحديد و تعريف النُّظُم الملائمة لمثل هذه المجتمعات المركبة و الملتزمة بمبدأ (نظام الأبوة)، و هو نظام يقوم على علاقة

تراتب عامودي هرمي ذا تقاطع أفقي[18] ، يتصرف من خلاله السلطان أو الملك في عشيرته وفقا للقواعد الإجتماعية المتصلة بالواقع المعيشي لهذه المجموعة أو تلك[19] .

لقد وجد المغيلي هذه الهيكلة راسية و قارة في بنى التشكيل القبلي و البشري للأفارقة في تلك الفترة، فلم يسعه إلا أن يستبقي عليها ويُدخل القواعد والنظم الإسلامية التشريعية لتسديدها، وهذا ما جعل الأمراء والسلاطين (الوثنيين) و الوجهاء يدخلون في الدين الإسلامي أفواجا أفواجا، و هكذا تأسلمت الرقعة الإفريقية على ذلك النحو التلقائي في المناطق التي تحرك بها المغيلي بدعوته الإسلامية الإصلاحية، لاسيما الفئات الفقيرة التي وجدت نفسها حظيت بالاعتبار الإنساني في كنف الإسلام[20].

ومن مآثر المغيلي في هذه البلاد أنه نشر بها الإسلام حسب تعاليم القرآن و السُّنة؛ لأنه كان سُنّيا، و من ثم اتخذ أهل البلاد في ميدان الفقه و الشريعة، مذهب الإمام مالك كقانون لحياتهم الدينية و الإجتماعية و الإقتصادية[21]، و كان كتابه "تاج الدين فيما يجب على الملوك و السلاطين" المرجع الأساسي لدستور دولة كانو الإسلامية، كما كانت أجوبته على أسئلة الأسقيا محمد المرجع الرئيس لدستور إمبراطورية الأسقيا الإسلامية(سنغاي)، و مصدرا أساسيا لقوانينها[22].

و الدليل على ذلك أنه عندما استقام لملوك الفلان أمر بلاد الهوسا بقيادة الشيخ عثمان بن فودي في القرن التاسع عشر، وجدوا في البلاد النظم الإدارية صالحة احتفظوا بها و لم يُغيّروا منها شيئا؛ فمثلا نظم الضرائب التي وجدوها تسير وفق النظم الإسلامية المستمدة من تعاليم القرآن الكريم فضريبة الزكاة كانت تدفع لبيت المال و هناك ضريبة العشر و ثمة ضريبة تفرض على الماشية و أخرى على الأراضي الزراعية و هي الخراج وضريبة تسمى الجزية؛ وكانت تُفرض على الوثنيين الذين رفضوا الدخول في الإسلام، وقد حافظ الشيخ عثمان بن فودي على هذا النظام الذي وجده في البلاد و عمل على تعميمه ونشره في الأقطار الإفريقية التي دانت له

بالطاعة، و هو ما يبعث على الإعتقاد أن هذا الأخير قد اطّلع و تبنّى ما ورد في مؤلفات المغيلي، و أخذ عنها الشيء الكثير الذي أهّله لحكم هذه البلاد حكما صالحا[23].

كما يمكن القول أن المغيلي كان مُنشِئا للإمارات في إفريقيا؛ إذ أن دروس الدعوة وتعاليم التبليغ في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كانت تتحول في الميدان إلى نواة لتأسيسات بشرية و تجمعات أهلية سرعان ما تأخذ طابعا اجتماعيا وسياسيا؛ حيث تجد القبائل والمعاشر المتفرقة نفسها قد اجتمعت على كلمة لا إله إلا الله، ولحمت بينها فروض توحدها في التوقيت و تربط بينها في المناسبات و تزيل الحواجز التي ظل الشرك والديانات الطوطمية تضعها عوائق تحول دون التمازج و التداخل [24].

ولأن الإسلام يدعو إلى العلم و الجد و العمل و الإنتاج و التوسع في ذلك، فقد دعا الشيخ المغيلي من خلال آثاره و أعماله و جهوده في الدعوة و الإصلاح قولا وعملا إلى العمل الجاد الذي يعود على الناس بالخير و على المجتمع بالرفاه و الرخاء، و حذر من التوغل في طلب الدنيا؛ لأن ذلك يصرف الناس عن الآخرة و يلهيهم عن العبادة والطاعة، و دعا إلى أخذها برفق و الإستمتاع بطيبها في اتزان لأن ذلك يحقق للنفس البشرية ميولها و لا يتعارض مع طموحها [25].

و رغم كل الصعاب والعراقيل التي واجهته من مُناوئيه، فقد استطاع المغيلي بما أوتي من علم غزير و غيرة على دين الإسلام و حّس مرهف و حرص على صلاح هذه الامة وإصلاحها، و شعور بالمسؤولية و الأمانة أن يُبلّغ رسالة الإسلام، فكانت تفيض من لسانه وقلبه كلمات مؤثرة هي آية في الإخلاص و الصدق و الحمية الدينية ، تلقّفها أعلام الدعوة وأئمة التربية من تلامذته المخلصين في القرون التي تلته، فكان لهم دور كبير في المحافظة على روح الإسلام و هديه، و نشره في الأصقاع البعيدة التي استعصت على الجيوش المدججة إخضاعها، وما كان له أن يحصل على هذا النفوذ إلا بإخلاصه في عمله الدعوي و زهده في

ما كان يحرص عليه غيره من علماء البلاط و عامة المدعوين، بل و حرصه على هداية الخلق أجمعين إلى الإسلام[26].

و يعد المغيلي من أوائل من دفع العلماء و الحكام في السودان وخاصة في كانو إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخضع المعارف الإسلامية في السودان لمحك النقاش و الأخذ و الرد و العطاء، و وسّع دائرة النقاش العلمي بحيث أصبح يشمل مناطق لم تكن العلوم الدينية قد وصلتها على الشكل المنهجي و قام بدور عظيم في السودان لا يدانيه دور قام به عالم مغربي، فقد ترك أثرا إسلاميا بارزا في جميع المماليك الإسلامية في بلاد السودان الغربي، و قام بتصحيح مفاهيم كثيرة مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين و دعم مفاهيم الدعوة الإسلامية، و وجّه الحكام للعمل بها لطبع المجتمع بطابع إسلامي صحيح[27] .

ترك المغيلي لنفسه مكانة عظيمة و أثرا بالغا في الأمة و أصبح إسمه عندهم مقرونا بالإمام و ظلت آثاره قائمة بعد موته قرونا طويلة. و ألّف كثيرا من الرسائل و الكتب أضاءت الحياة العلمية في قلب السودان و أوضحت له منهج الإسلام الصحيح في الحياة العلمية ، و أصبحت كتبه مدرسة روحية تربت عليها العلماء و الحكام و العامة ، و ظهر أثرها بارزا في الأمة في عهده ، و على الأجيال التي أتت من بعده من المصلحين السودانيين، فقد تأثر هؤلاء بآرائه و منهجه في تصنيف من يجب جهاده و قتاله من الكفار المرتدين على الإسلام ، و من يدعي الإسلام و يخلط بينه و بين عبادة الأوثان أويعتقد فيها النفع و الضرر ، و قد أخذ بمنهجه هذا عثمان بن فودي و أتباعه وخلفاؤه من بعده ، و كتابه المسمى (سراج الإخوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان) عبارة عن نسخة طبق الأصل من أجوبة المغيلي على أسئلة الأمير محمد الأسقيا ، و رسائله إلى أمير كانو ، في الفصل الثاني إلى نهاية الفصل التاسع أي من ص10 إلى ص42...[28]، و في رسالته المسماة "حصن الأفهام من جيوش الأوهام" ، فقد نقل فيه عن المغيلي في مواضع ثم قال : "و سئل شيخنا محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني عن تحليل للمطلقة ثلاثا قبل زوج ، فقال ..." [29] ، و قد علق آدم الألوري على

كلمة شيخنا هذه فقال : "أنظر قول ابن فودي : و سئل شيخنا ...لقد عزا النقل إلى المغيلي و نسب نفسه إليه كالتلميذ الذي سمع أو أخذ عن المغيلي مباشرة ، و مع ما بينها من بعد العهد الذي لا يقل عن ثلاثة قرون ، و إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على غاية التأثر و شدة التعلق بهذا الشيخ"[30] .

فآراء الشيخ عثمان و آراء أخيه عبد الله مبنية في كثير من المسائل على آراء المغيلي؛ ففي كتاب ضياء السياسات للشيخ عبد الله بن فودي تشابه شديد بين آرائه وآراء المغيلي في كتابه الذي وجهه إلى أمير كانو في ما يجب على الملوك[31].

و استنادا إلى قول آدم الألوري في مؤلفه ، فجميع العلماء الذين اجتمعوا به أو أخذوا العلوم عن تلاميذه تأثروا به حتى امتازوا عند علماء غرب إفريقيا بمعاصري المغيلي وعصرهم بعصر المغيلي، كما احتفظوا برسائله و مؤلفاته، و حفظوها في صدورهم، وخزنوها في مكتباتهم حتى توارثها الخلف عن السلف[32] .

و من الأمثلة الأخرى الكثيرة على هذا التأثير هي ما ورد في كتاب "تيسير الفتاح في الذات عن أهل الصلاح" الذي ألفه محمد ألكنا السوقي في (121 صفحة كبيرة)، فقد ألفه صاحبه في الرد على رجل عاب عليه و على قومه أنهم ساكنوا الكفار و لم يهاجروا ، محتجا بنصوص المغيلي في أجوبته للأسقيا و من رسالته المسماة "مصباح الأرواح"، فكان المؤلف يتتبع عبارات المغيلي و يحللها و يشرحها و يرد على خصمه بما فهمه منها[33]. كما نقل عنه الأمير محمد بلو في مواضع كثيرة من مؤلفاته منها "إنفاق الميسور"، وكان ينعته بالحجة؛ و كمثال عن ذلك في المؤلف المذكور: **"قال الحجة المغيلي في أجوبته لأسئلة أسكيا الحاج محمد: فاكتسب لنفسك ما ترجي بركته..."** [34] ، و حين حاول الشيخ آدم الألوري أن يؤرخ لحركة الأدب و اللغة العربيين في نيجيريا في كتابه الذي سماه "مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية" ، لم يجد محيدا عن الإعتراف بتأثير المغيلي في هذه الناحية أيضا و دوره في ترقية العلوم العربية و

الثقافة الإسلامية ، مما جعله يقسّم عصور الأدب العربي في نيجيريا منذ قيام هذا الأدب فيها إلى العصر الحاضر إلى خمسة أدوار : (العصر البرناوي – العصر الونغري – عصر المغيلي من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر – ثم العصر الفلاني و العصر الإنجليزي) ثم يجعل من نص بعض فتاوى المغيلي الواردة في أجوبته لأسئلة الأسقيا نموذجا لأسلوب الكتابة العربية في هذا العصر الأدبي الذي سماه بالعصر المغيلي[35].

و المغيلي من العلماء القلائل الجهابذة الذين بقي لهم آثار قائمة في غرب إفريقيا وحُفظت مؤلفاتهم، فقد أصبح ذاكرة عالقة في أذهان الإفريقيين و أصبحت مؤلفاته ورسائله مصدرا هاما من مصادر العلوم الإسلامية و التاريخ الإسلامي و مراحل تطور التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا في القرنين التاسع و العاشر الهجريين و نظام الحكم في الدول الإسلامية التي كانت قائمة في القرنين المذكورين[36] .

و قد تَبيّن من كتابات و عناوين عثمان بن فودي ، و عبد الله بن فودي و محمد بلو، وآرائهم الفكرية العامة هي روح الأفكار التي حملها محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى السودان، و المتمثلة في تمكين العقيدة و الغيرة عليها ، و وضع سياسة للناس يقادون على ضوئها ، و الجهاد في سبيل إقامة الدولة العادلة ، و نشر الإسلام بلين و روية ، و محاربة البدع و الأوهام ، و غيرها ، فقد جاءت العديد من الكتب لعلماء أفارقة لتوضيح منهج ومذهب المغيلي في الحياة الدنيوية و الأخروية. فكان للمغيلي السبق في تنظيم الحكم ، والإمارة و اقتفى أثره من جاء بعده من العلماء المجاهدين الداعين للعدل و النظام والمساواة[37] .

لقد استفادت البلاد الإفريقية منه(المغيلي)كثيرا؛ حيث كان المغيلي قد أرسى بوصاياه السياسية القواعد الشرعية للحكم و للراعي و للرعية و للتغيير و النظام ، فأعماله و آثاره المكتوبة والروايات الشفوية المنقولة عنه لا زالت محفوظة و لا زال العلماء و أهل الإصلاح والسياسة و رجال الدعوة يتناولونها جيلا بعد جيل ..إلى أن وصلت مرحلة قيام الحركة الثورية و

الدعوية التي قادها عثمان بن فودي ، فاستثمرت فيها أحسن استثمار و اعتمدت عليها أشد الإعتماد حتى أننا لا نكاد نجد مؤلفا من مؤلفات الشيخ عثمان أو غيره ، من منظري حركته و القائمين بدعوته و المؤرخين لها يخلو من الإشارة للمغيلي و النقل عنه و الرجوع إلى وصاياه و فتاواه و رسائله، و الإحتجاج بأقواله وآرائه في تدعيم دعوتهم و إسناد الأفكار التي تضمنتها حركتهم الجهادية والإصلاحية والدعوية[38].

إن تأثير المغيلي في الحركات الإصلاحية في أفريقيا الغربية لا يمكن حصره في النقول التي تتردد في جل كتابات وخطابات زعماء هذه الحركات، بل تجاوز ذلك إلى الإقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع ومنهجه في الدعوة و العمل بآرائه و الإقتداء بأفكاره واستعمالها في تدعيم مواقفه، و كثير من الفصول والرسائل التي كتبها الشيخ عثمان ما هو إلا تكرار أو شرح أو تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي وكتاباته و ترداد لمقولاته[39].

كما أن للإمام المغيلي الريادة في نشر الطريقة القادرية في السودان الغربي،و قد أخذ عنه تلميذه في التصوف عمر الشيخ ابن أحمد (1460-1553) الذي تلقى مبادئ العلم على يديه ، و عهد إليه بنشر الطريقة القادرية في المنطقة[40] ، و قد أخذ سيدي عمر الشيخ بدعوة المغيلي و بفضائله و لازمه و تبعه في حله و ترحاله لنشر الدين و الإصلاح ، ويظهر أنه كان رسوله لنشر الإسلام و الطريقة القادرية في السودان الغربي، و مما لا ريب فيه أن هذا هو الذي جعل اسم سيدي عمر الشيخ و إسم كنتة أكثر شهرة في المنطقة من إسم المغيلي ، و بوفاة المغيلي حوالى عام 1532م تولى عمر الشيخ مهام معلمه وأصبح الرئيس الأعلى للطريقة القادرية[41]، فكان الكثير من زعماء بعض الحركات الثورية و الإصلاحية بالمنطقة من أتباع الطريقة القادرية اتباعا لنهج هذا المصلح الثائر(المغيلي)، و هو يضيء لنا جانبا آخر من جوانب تأثر هذه الحركات بالشيخ المغيلي؛ فقد تنورت تلك الحركات من خلال آثار المغيلي و فتاويه و رسائله ووصاياه التي ورثها من علماء بلاده، كما تأثرت بسيرة المغيلي في غيرته على الإسلام والدفاع عن بيضته باللسان ثم باليد ثم بشهر السلاح[42] .

و يكفي شهادة على الدور الإصلاحي الكبير للمغيلي في غرب إفريقيا ما قاله الدكتور آدم عبد الله الألوري النيجيري: إن أفكار المغيلي أدت إلى تغير ملموس في حياة الناس ...و أن أهل سكوتو ورثوا الجهاد عن الشيخ المغيلي و كان ذلك أحد العناصر الهامة في تطور الإسلام و الثقافة العربية ببلاد الهوسا[43]، و أن التاريخ لم يخلد أثرا لعالم عربي مغربيا أو مشرقيا مثل ما خلد للإمام المغيلي في غرب إفريقيا عموما و في نيجيريا خصوصا من تأثير[44].

**خاتمة:**

مما سبق يتضح لنا الدور الكبير و الرئيسي الذي أداه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في سبيل نشر الإسلام على نطاق أوسع من غرب إفريقيا ، و تصحيح المفاهيم المغلوطة التي كانت عالقة في أذهان الأفارقة حكاما ومحكومين، فأرسى بوصاياه القواعد الشرعية للحكم وللراعي و للرعية و للتغيير و النظام، و خلفه بعده تلامذة و أتباعا اقتفوا منهجه و اقتبلوا فكره، ولا تزال أعماله و آثاره المكتوبة والروايات الشفوية المتناقلة عنه محفوظة، ولا زال العلماء و أهل الإصلاح والسياسة و رجال الدعوة يتناولونها جيلا بعد جيل .

## الهوامش:

1- عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية و التأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص153.

2- أحمد بابا التنبكتي: **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**. تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ليبيا، 1999، ط2، ص578 .

3- إبن مريم: **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**. المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1908، ص253.

4- يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**. دار البصائر، الجزائر، 2009، ص64.

5- عبد القادر زبادية: **التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي بعض آثاره و أعماله في الجنوب الجزائري**. مجلة الأصالة، ع26، ص209.

6- زبادية: الحضارة العربية ...، المرجع السابق، ص ص 153، 154.

7- التنبكتي: المصدر السابق، ص577، إبن مريم: المصدر السابق، ص ص254، 255، بوعزيز: المرجع السابق، ص73.

8- زبادية: التلمساني محمد بن عبد الكريم...، المرجع السابق، ص213.

9- مقدم مبروك مقدم: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية**. مؤسسة الجزائر كتاب، الجزائر، 1422-2002، ط1، ص101.

10- التنبكتي: المصدر السابق، ص577.

11- زبادية: التلمساني محمد بن عبد الكريم ..، المرجع السابق، ص214.

12- التنبكتي: المصدر السابق ، ص577.

13- زبادية : التلمساني محمد بن عبد الكريم ...، المرجع السابق ، ص214.

14- مبروك مقدم : المرجع السابق، ص107.

15- بوعزيز: المرجع السابق، ص76.

16- إبن مريم: المصدر السابق، ص ص 255، 256.

17- خير الدين شترة: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات و السودان الغربي**، مج2، الجامعة الإفريقية-الجزائر، د.ت، ص271.

18- مبروك مقدم: **الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**. دار الغرب، 2004، ص21.

19- المرجع نفسه، ص61.

20- المرجع نفسه، ص21.

21- شترة: المرجع السابق ، ص523.

22- قاسم جاخاتي: **إسهام السنوسي و المغيلي في إحياء تراث علم الكلام الأشعري و الفقه المالكي و نشره في بلاد المغرب العربي و غرب إفريقيا**. مجلة المفكر، ع5، ص54.

23- شترة: المرجع السابق ، ص523.

24- مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و دوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بأفريقيا الغربية ...، المرجع السابق، ص16.

25- شترة: المرجع السابق ، ص524.

26- المرجع نفسه، ص ص 525، 526.

27- المرجع نفسه، ص527 .

28- المرجع نفسه، ص528 .

29- عثمان بن فوديو: **حصن الأفهام من جيوش الأوهام**. تح: فضل الرحمن الصديقي، مطبعة كواليتي، نيجيريا، 1409هـ-1989م، ط1، ص109.

30- خيرالدين شترة: **الإرث الفكري والإصلاحي للشيخ المغيلي في إقليم توات وحواضر السودان الغربي**. مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، ع21، ص ص36،37.

31- شترة: الشيخ محمد بن عبد الكريم ...، المرجع السابق، ص528.

32- آدم عبد الله الألوري: **الإمام المغيلي و آثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا**. عر: زين العابدين الكتاني، دعوة الحق، ع6و7، وزارة عموم الأوقاف-المملكة المغربية، 1978.

33- شترة: الإرث الفكري...، المرجع السابق، ص ص 37، 38.

34- محمد بلو: **إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور**. مطبوع ضمن كتاب: **مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد** بلو، مج1، دار إقرأ، نيجيريا، ص286.

35- شترة: الإرث الفكري...، المرجع السابق، ص38.

36- شترة: الشيخ محمد بن عبد الكريم...، المرجع السابق ، ص529.

37- مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر و الوثائق ...، المرجع السابق، ص112.

38- شترة: الإرث الفكري...، ص ص 38،39.

39- المرجع نفسه، ص 39.

40- أمطير سعد الغيث: **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر و السادس عشر**. دار الرواد، ليبيا، 1996، ط1، ص181.

41- بول مارتي: **كنتة الشرقيون**. تع: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، سوريا.

42- شترة: الإرث الفكري...، المرجع السابق، ص39.

43- شترة: الشيخ محمد بن عبد الكريم...، المرجع السابق، ص541 .

44- الألوري: المرجع السابق، ص95.